السيد محمد الحسني البغدادي ومنهجه في كتابة التاريخ

الأستاذ المساعد الدكتور
علاوي عباس عبد العزاوي
الباحث
كرار إسماعيل محمد مرضي
جامعة الكوفة - كلية الآداب

السيد محمد الحسني البغدادي ومنهجه في كتابة التاريخ

الأستاذ المساعد الدكتور
علاوي عباس عبد العزاوي
الباحث
كرار إسماعيل محمد مرضي
جامعة الكوفة - كلية الآداب

المقدمة:-

تجلى عند السيد البغدادي بعداً هاماً من أبعاده الفكرية وهو اهتمامه بالتاريخ من حيث المفهوم والمنهج والرؤية الفلسفية له، وهذا البعد رغم أهميته إلا أن مقاربته لم تكن بالعمق الكافي في العديد من الدراسات التي كتبت حول شخصية السيد البغدادي، حيث كانت اغلب هذه الدراسات أما مهتمة بجوانبه الأصولية والفقهية ، أو واقعة في دائرة الاعلان عن مواقفه السياسية أو عرض لسيرة حياته ومحطاته العلمية، ولقد سلطت الدراسة الضوء ليس على كشف حقيقة أبعاد الوعي التاريخي عند السيد البغدادي وتحليله من خلال كتاباته وإنما بينت أسلوب وخصائص التأليف عنده والذي كان من أهم سماته هو انه كان اسلوباً جامعاً لعدة معارف، حيث وظف السيد البغدادي ثقافته الإسلامية وبروافدها المتعددة ليخلق نمطاً في الكتابة اقرب الى "الاتجاه الموسوعي" لكنه أعطى الأولوية للكتابات التاريخية عبر قراءة تقف عند الأحداث والتحولات المهمة في هذا التاريخ وخاصة فترة "الرسالة المحمدية والخلافة الراشدة" ضمن رؤية ومنهجية امتازت بها نمط كتاباته ، تألف البحث من مقدمة و تمهيد و ثلاثة مباحث و خاتمة وتخللتها قائمة بأهم المصادر.

التمهيد:-

هوالسيد محمد بن صادق بن محمد بن راضي بن حسين بن احمد بن محمد العطار البغدادي ، ولقب بالعطار البغدادي نسبةً الى سكن جده الأعلى السيد

محمد العطار في سوق العطارين بمنطقة الشورجة ببغداد ، ولد في النجف الاشرف في الخامس و العشرين من حزيران سنة١٨٨١، لأسرة علميّة ضمت الفقهاء و المحققين و الشعراء ، و كانت النجف الاشرف مرتع صباه واولى محطات الدرس و التعليم ، وكان والده معلمه الأول ، فأجتازالمراحل الدراسية الأولية و أظهر تفوقه ونبوغه فيها ، وقد اهتم بدراسة الأدب و التاريخ العربي الى جانب دراسته للفقة و الاصول ،لم يكتفي بما ناله من حلقات الدرس بل تتلمذ على علماء أفذاذ من حوزة النجف الاشرف ،فقد ارتشف من معين معارفهم و علومهم ، ليتمكن بعدهامن خوض مناهل الدراسات العليا وشق عباب بحور المباحث العالية ، ليمنح بعدها مرتبة الاجتهاد والشهادة العليا في الفقه و الاصول ،وهو لم يبلغ العقد الرابع من عمره ، فاستقل بالبحث والتدريس ، وتخرّج عليه جمع من الأفاضل ، كتب العديد من المؤلفات النافعة في شتى العلوم، تميّزت بالدقة والعمق الفكري ما يهمنا منها كتابه "التحصيل في اوقات التعطيل" ،ويقع في عشرة اجزاء طبع منها الجزء الاول و الثاني وبقية الاجزاء لازالت مخطوطة وهو كتاب جامع لمعارف عديدة منها:في التاريخ والأدب والفقه والاصول والعقائد وغيرها،وللسيد البغدادي مواقف سياسية اتسمت بالجرأة والشجاعة وتحمل التضحيات وصلابة العقيدة،توفي بالنجف الاشرف في الثاني من كانون أول سنة ١٩٧٣ بعد حياة حافلة بالمأثر الجليلة[١].

المبحث الأول

مفهومه للتاريخ

وحتى نصل إلى تحديد معالم "مفهوم التاريخ"[٢]، وتصوراته عند السيد البغدادي، والذي يكاد لاينفصل بمدلولاته ومرجعياته عن البواعث والجذور التراثية التي حكمت قضاء هذا المفهوم، يذهب السيد البغدادي في "تعريفه للتاريخ"[٣] على انه:"في الأصل التوقيت ثم توسع فيه فاطلق على مجموع قضايا

تتعلق بالملوك والامم والأراضي فلا يدخل فيه العلوم العقلية والدينية والاخلاقية.. ولهذا كان سير الماضين في كتبهم على عدم الاهتمام في شؤون الانبياء -ع- واوصيائهم بل ان كتبهم لم تكن دينية نعم ربما يتعرضون لها استطراداً او نادراً..."[٤].

وفي هذا التعريف مجموعة من الاشارات والدلالات التي يحاول السيد البغدادي الاعلان عنها لتشكل بالتالي زاويا نظره لهذا العلم منها:

١- ذهب السيد البغدادي في تعريفه الى ترجيح الدلالة الزمنية للمفهوم كأصل للتعريف وهو في هذه النظرة يتفق مع الكثير من المؤرخين القدامى الذين ذهبوا الى ان بداية الوعي العربي بالتاريخ وخاصة في مرحلة "الجاهلية" [٥]، كان من خلال جعل أيام أو احداث بارزة، معلومة زمنياً، عرفت فيما بعد بـ"أيام العرب"[٦]، كقراءة دالة على سرد المرويات التي شكلت فيما بعد خزيناً مهماً لمعرفة تاريخ العرب قبل الاسلام، وهذا الاقتران والتقسيم الزمني على أساس هذه الاحداث والوقائع.

٢- يشير السيد البغدادي في تعريفه الى وجود طورين شكلا مجموعهما معالم حدود التاريخ من ناحية موضوعاته، فهو في نظره بدأ بالزمن وانتهى بالحادثة، أي ان الاشتغال بقضايا الملوك والامم، أو ما يعرف بالتاريخ السياسي، قد جاء كمرحلة متأخرة في الكتابة التاريخية في نظر السيد البغدادي.

٣- اكد السيد البغدادي في تعريفه على مبدأ الانفصال وعدم التداخل في هذا العلم، وهذه الدعوة هي محاولة منه لجعل علم التاريخ مستقلاً عن غيره من العلوم الاسلامية سواء من ناحية المنهج ام الموضوع، فلكل حقل معرفي

تاريخه الخاص والذي تحكمه أسس ومنطلقات وضوابط ومعايير تجعله يتميز ويختلف عن غيره، وهذه الاشارة من السيد البغدادي غايتها وضع الموازين والحدود الفاصلة بين مكونات وروافد الفكر الاسلامي، فالعلوم العقلية تؤرخ مثلاً لتاريخ الفلسفة والعلوم الدينية تؤرخ لتاريخ العقائد والفرق، وهكذا نصل الى نوع من التحديد المنهجي والاستقلالية في كل علم وهو ما نستخلصه من دلالة هذه المسألة كما بينها السيد البغدادي في تعريفه(٧).

ان وقوف السيد البغدادي في مفهومه للتاريخ عند دلالته الزمنية يفسر دعوته الى الرجوع والاهتمام بالتاريخ الهجري، حيث أشارالى ذلك "من أعجب ما شاهدناه في زماننا بسبب استيلائهم علينا هو اعتناء الكثير منا بالتاريخ الميلادي بل شيوعه واعجب من ذلك هجر التاريخ الهجري عند جملة منا بالمرة ... وهذان مقامان مهمان فلا يتسامح فيهما"(٨).

اراد السيد البغدادي ان يكون التاريخ الهجري هو السائد بين المؤرخين لا ان يسود التاريخ الميلادي الذي طغى في التدوين التاريخي على التاريخ الهجري، ويرى الباحث وبكل تواضع ان الجمع بين الاثنين أي التاريخ الهجري والميلادي للحادثة الواحدة هو انفع للمؤرخين والباحثين من المسلمين وغيرهم.

وسينعكس هذا الاهتمام بالتاريخ الهجري في تأكيد السيد البغدادي وفي اكثر من مناسبة على أهمية الاعياد والاحداث الواردة ضمن التاريخ كيوم ولادة النبي الاكرم(ﷺ)، ومبعثه واحداث ووفيات الأئمة(عليهم السلام)، والأيام المشهورة في هذا التاريخ كيوم الغدير(٩)، لكن السيد البغدادي لايخفي نقده لبعض المستحدثات على هذا التاريخ كانت قديمة او حديثة، فأشار بهذا الصدد بما نصه:"العيد هو اليوم المتخذ للفرح والسرور وللاجتماع وعيد الفطر وعيد الأضحى من الأعياد المتفق عليهما بين الأمة ... كذلك عيد الغدير الذي فيه نصب النبي-ص- علياً أمير المؤمنين -ع- وهو اليوم الثامن عشر من ذي الحجة وعيد استخلاف الامام

صاحب الامر[١٠] عن ابيه العسكري[١١] وهو يوم التاسع من ربيع الأول ... واما يوم مولد النبي-ص- ومبعثه فيعدان عند كافة الامة.." [١٢].

ويتضح من ذلك ان السيد البغدادي يوزع الاعياد على المسلمين وفق اعياد دينية ذات فرائض كعيد الفطر وعيد الأضحى، وأعياد عقائدية تتصل بالامامة، وأعياد اخرى تتصل بالسيرة النبوية الشريفة وتطرق لأعياد أخرى ابتدعتها السلطة الحاكمة في العهد الأموي[١٣] "لكن بني امية ابتدعوا عيداً اخر وهو يوم قتل الامام الحسين"، بعد يوم العاشر من محرم يوم ماساة وقعة بالامام الحسين (عليه السلام) ومن معه من ال بيته "نساء واطفال" وأصحابه الذين ناصروه واستشهدوا معه في وَاقَعَتْ "الطف" الأليمة وسيقت النساء والاطفال من بلدة الى اخرى حتى وصلوا الى عاصمة الخلافة الاموية فكانت مظاهر الفرح والابتهاج تزين المدينة "دمشق" حيث اتخذ الأمويون من ذلك اليوم عيداً، وذلك في محاولة لالغاء بعض الأعياد والتي اعتاد أهل البيت احياءها وهذا ناتج عن سياسة الدولة وحقدها على اهل البيت (عليهم السلام)[١٤].

ومن معالجاته في الموضوعات التاريخية الاخرى يرى السيد البغدادي ان بعض الكتّاب الشيعة دونوا التاريخ وفقاً لتقية "الخوض فيما ينافي التأليف والتقية ونحوهما" خوفاً من الحاكم في عصورهم ولذلك ابتعدوا عن قضايا العقيدة كالامامة واهميتها والعصمة ومدلولاتها، واراد السيد البغدادي ان لايغفلوا هذه الجوانب وان استخدموا التقية وعدم الكيل بمكيالين، لأن ذلك لايقدم الحقيقة ولاينسجم مع من يكتب التاريخ، ويعلق السيد البغدادي على هذه الصورة بقوله:" كتب في التاريخ كثير من الامامية كالمسعودي[١٥] وابن الكلبي[١٦] وابن مسكويه[١٧]... وغيرهم ممن ذكر في الكتب الرجالية واعرض عنه اخرون وهم الاكثر وبهذا لم يكن فيهم فاشيا شائعاً وذلك لانصرافهم الى ماهو أهم كالعلوم الدينية لاضطراب مصادرهِ عندهم اذ كانت بدواعا فاسدة ومأخذ ساقطة في تصرفاتهم اجتهادية مخلة بالمقصود..."[١٨].

ومن الموضوعات التي علق عليها السيد البغدادي "المباهلة"[١٩] (فَمَنْ حَاجَّكَ فيه منْ بَعْد ما جاءَكَ منَ الْعلْم فَقُلْ تَعالَوْا نَدْعُ أَبْناءَنا وَأَبْناءَكُمْ وَنساءَنا وَنساءَكُمْ وَأَنْفُسَنا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللهِ عَلَى الْكاذِبِينَ) [٢٠]، ان الكتاب الذين يعتقدون باهل البيت (عليهم السلام) والنص الالهي بعكس الذين لايؤمنون بالنص الالهي والعصمة، وقد اختار السيد البغدادي هذه الحادثة لما لها من اهمية، فضلاً عن انها ترتبط بسيرة اهل البيت(عليهم السلام) وقد انتزع هذه الأهمية من النصوص القرآنية لأن هذه الآية الكريمة خصت الخمسة من اهل البيت(عليهم السلام) ويربط السيد البغدادي موضوع المباهلة بتنصيب الامام امير المؤمنين علي بن ابي طالب(عليه السلام) وتعيينه خليفة للمسلمين من قبل الرسول(صلى الله عليه وآله) "المباهلة من رسول الله –ص- بأمير المؤمنين-ع- من اوضح الادلة على امتيازه وتقدمه على غيره حتى سماه تعالى نفس رسول الله وهذا لم يكن لغيره اكبر دليل على تعيينه[٢١].

ويستشهد السيد البغدادي بموضع اخر على احقية الامام علي بن أبي طالب(عليه السلام) بالخلافة على المسلمين من الآية الشريفة بقوله تعالى (إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ)[٢٢]، موضحاً ان هذه الآية نزلت بحق الامام علي(عليه السلام) اجماع الفريقين "وهي من اوضح الادلة على مختار الامامية" حسب تعبيره، ويحيل السيد البغدادي القارئ الى مراجعة كتاب "كنز الفوائد" للكراكجي[٢٣]، وغيره[٢٤].

المبحث الثاني

منهجه في الكتابة التاريخية

اما بالنسبة لمنهجية البحث التاريخي عند السيد البغدادي من ناحية الطرق والآليات المستخدمة، وهذا ماسنقوم بدراسته بغية الوصول الى كشف المقدمات النظرية التي إستند عليها السيد البغدادي في تصوره لهذه المنهجية.

حيث قام بوضع مجموعة من التصورات والاراء التي نستطيع ان نشتق من خلالها رؤيته لخلق منهجٍ ملائمٍ للتعامل مع الكتابات التاريخية من ناحية القراءة والفهم وطريقة اختيارنا للمصادر التاريخية بحيث تكون اقرب الى الكشف عن الواقعة او الحدث التاريخي، وبعيدة عن الضعف والقصور المنهجي الذي يمكن ان يكون مانعاً في عدم تحقق الفهم المطلوب لكثير من الاحداث والملابسات التي مر بها تاريخنا عبر مراحله واطواره، وظهر عند السيد البغدادي ذلك من خلال تأكيده على نوعية القراءة التاريخية، وانتخاب ما يصلح لتلك المهمة، لذلك يؤكد على القيمة المعرفية التي تحملها بعض المصنفات التاريخية، فهو يميل الى الرجوع للمصادر الأصلية، وعدم الركون الى المراجع المستحدثة، وفي ذلك يذهب السيد البغدادي الى تأكيد هذا الامر فأشار بما نصه: "ومن عجائب زماننا تقديركتب التاريخ العصري وتقديمه على القديم وغالبه مستندا اليه او مكذوب فيه أو خطأ فاش عن التقصير والقصور هذا ولاينبغي الاعتماد على كل نقل وحكاية وتاريخ..."[٢٥].

لم يفصل السيد البغدادي من خلال هذا الرأي طبيعة وماهية المصادر القديمة والعصرية، ولا أشار الى المعايير التي يكون على أساسها التمييز والمفاضلة، لكنه في نفس الوقت ذكر عيوب المصادر العصرية من ناحية وورود التقصير فيها سواء كان متعمداً او غير متعمد.

وهذا الامر سيجعل من تلك الكتب حسب رأيه عرضة للوقوع في الخطأ والتلفيق والكذب، الأمر الذي سينسحب في النهاية على عدم الاطمئنان في الرجوع اليها، وبالتالي يكون رأي السيد البغدادي هو دفع الباحث التاريخي الجاد والملتزم[٢٦]، بقضايا التاريخ واصوله الى عدم الوقوع في دائرة الأخذ من هذه المصادر لأنها ستكون حاجزاً سلبياً يمنع تحقيق الوصول الى النتائج المطلوبة في البحث التاريخي،ومن ناحية اخرى نجد ان السيد البغدادي، ومن خلال كتاباته حاول ان يضع مجموعة من القواعد او كما يسميها بالشروط التي يمكن على

أساسها الوصول الى تحديد نوع من الرؤية المنهجية عند الباحث التاريخي وهذه الشروط هي:
الاول: ان لايكون مخالفاً للعقل والشرع.
الثاني: ان يكون مقيداً للقطع او الوثوق أو الظن على شرائط خاصة.
الثالث: ان يكون متعلقة بحالة دخل في التكليف ونحوه مما له غرض عقلاني وهذا هو الذي قام الدليل على الاعتناء به ولكن افرط قوم وفرط اخرون ومنشاه الجهل(٢٧).

ويبدو من السياق الذي وردت فيه هذه الاراء ان السيد البغدادي يشير الى نقد المرويات التاريخية التي جاءت من كتب العقائد، فهذه النصوص التي تشكل المادة الأساسية في فهم اصول العقائد من الوجهة السياسية والاجتماعية وحتى الفقهية يجب ان تصل الى درجة عالية من "القطع و الوثوق" على حد تعبيره، وان معالجة هذه النصوص من ناحية الاقرار يجب ان يكون في رأيه ضمن قياسات عقلية وشرعية، لذلك أشار السيد البغدادي الى ان ترك هذه القياسات وعدم العمل في فحص المادة التاريخية خاصة كتب المذاهب، وفي ذلك يقول السيد البغدادي "قد تولد من اختلال هذه الشرائط مفاسد لاتحصى كالاعتماد على تاريخ الكفار والمخرفين عن ال محمد –ص- على مجرد المرسوم"(٢٨).

ولعل اشارة السيد البغدادي في قوله "تاريخ الكفار" يعني به الاعتماد على التراث الاستشراقي في فهم وتقسيم ومعرفة تاريخنا الاسلامي لأن أغلب من كتب من هؤلاء المستشرقين orientalists(٢٩)، في قضايا وموضوعات تخص تاريخ الدعوة الاسلامية، والسيرة النبوية، وتاريخ الفرق الاسلامية، قد حاولوا ان يطغوا في كثير من القضايا الحساسة، والتي لها علاقة بثوابت العقيدة الاسلامية، واشارة السيد البغدادي الى جماعة "المخرفين عن ال محمد"، فهو يخص الكتابات سواء القديمة منها او الحديثة والتي تبنت خط معارضة فكر ال البيت(عليهم السلام)، وذلك باثارة الشبهات واثارتها ونسبها الى التشيع(٣٠)، على سبيل المثال لا الحصر

"دراسة الثورة الحسينية" واعتبارها معارضة للسلطة وخروجاً وتمرداً عن شرعية الخليفة وبيعته، تصدى السيد البغدادي في الرد على مثل هذه الاشكاليات والشبهات التي تثار في وجه تاريخ التشيع، وكان غرضه اعادة تصميم مسار تلك القراءات وان هذا التوجه من قبل السيد البغدادي في نقده لهذه الافكار ومحاولاته المستمرة في تصحيح واعادة نظر ونقد كل ما ورد من خلال هذه الكتب ينسجم مع توجهاته وخطه العام ،ان السيد البغدادي وماعرف عنه انه كان متقناً لأصول واداب اللغة العربية وفنونها اضافة الى ماكان يحمله من ثقافة، ترسخت من خلال اطلاعه وهضمه لنصوص هذا التراث لغةً واداباً وتاريخاً، مما اهله بالتالي الى ان يمتلك ثقافة جامعة ظهرت اثاره واضحة في اساليب كتابته وخاصة التاريخية منها، فامتاز باللغة السهلة التي تجمع مابين السلاسة والعمق وتبتعد عن التكلف والتصنع، اما اساليب تعبيره فانها كانت متقنة من ناحية عرض وبناء الافكار و عدم الاسهاب، فهو يميل الى الايجاز الموحي بالدلالة، لذلك فان معجمه اللغوي فيه من الثراء والتنوع، فضلاً عن انه لايميل الى استخدام المفاهيم المبهمة واختياره للمفردة اللغوية يراعي فيه لغة التوصيل والتأثر عند القارئ[٣١].

اما من ناحية نمط الكتابة الذي تميز به منجز السيد البغدادي الفكري، اذا استثنينا منه نمط كتابة الرسائل العملية والكتب الفقهية والاصولية، لأنه يكون متفقاً عل اصول كتابتها بانها مرتبطة بتراث وتراكم سابق عرفت فيه مميزات وخصائص الكتابة بهذا المجال، فنجد ان السيد البغدادي في كتبه الاخرى يميل الى نمط "الكتابة الموسوعية الجامعة" لاراء ومعارف شتى، وهذا اللون من الكتابة تكون من خصائصه الجمع بين الاخبار التاريخية والطرائف الادبية والمناظرات الكلامية وخلاصات اراء متفرقة في المنطق والفلسفة والعرفان، ومن خصائصه كذلك ان فصوله وابوابه تفتقد الى الوحدة في الموضوع، لأن غاية كاتب هذا اللون هو محاولة جمع اكبر مادة للمعلومات تكون موثقة بشواهدها وقرائنها ومعبرة عن جملة من المعارف المتباينة[٣٢].

ويتضح مما تقدم ان منهجية البحث التاريخي عند السيد البغدادي جاءت منسجمة ومعبرة عن توجهاته وانشغالاته السياسية والاجتماعية، وكانت ابرز خصائص هذا المنهج هو تأكيده على الرجوع للمصادر الأولية وعدم الركون الى المرويات التاريخية بدون مراجعة سند الرواية وفحص متنها ومحاولة التوثق من رواتها، فالسيد البغدادي بهذه الاجراءات يعبر عن استخدام آليات"الجرح والتعديل"[٣٣]، والتي هي من مختصات "علم الحديث"[٣٤]، ويحاول تطبيق معاييرها على التثبت من حقيقة الخبر التاريخي، وهو بهذه الطريقة وان كان ممن يؤمنون بوحدة واستقلالية العلوم عند بعضها، الا انه لايتوانى من توظيف الاليات والمناهج البحثية التي يمكن ان تساعد الباحث في الوصول الى الحقيقة التاريخية، من ناحية نمط كتابته واسلوب بحثه،جاء معبراً عن مرجعياته الثقافية والتراثية ونوع قراءته لها وقدرته على توظيف هذه القراءة، الامر الذي أفرز عنده لوناً واسلوباً في الكتابة اصبح يعرف به مما ولد تميزه وخصوصيته في هذا المجال[٣٥].

ويتبين من خلال المواضيع التاريخية التي تناولها السيد البغدادي غلبة اهتمامه بالتاريخ الاسلامي خاصة في عصوره الاولى مع تأكيده على قضايا عصر الخلافة الراشدة، لذلك كان تأكيده الدائم على معالجة قضايا هذا العصر وطرحها للنقاش الموضوعي والنقد والمراجعة مثل قضية "المباهلة والخلافة" وغيرها الامر الذي يدل على ان قضايا التاريخ الاسلامي تحتل الأولوية في فكر ومنهج البحث التاريخي عنده، وبالتالي يكون ورود اكثر احكام السيد البغدادي ونتائجه وآرائه من جراء معالجاته المنهجية لاشكاليات وقضايا هذا التاريخ[٣٦].

المبحث الثالث

فلسفته التاريخية

اما فيما يتعلق باراء السيد البغدادي، واسهامه في مجال تفسير وبناء"فلسفة التاريخ"[٣٧]، يظهر انه يؤكد دائما على ان التاريخ يتحرك ضمن قوانين

وأُطرٍإلهية "القرآنية"[٣٨]، وما على المؤرخ الذي يريد ان يستقريء مسارات التاريخ واتجاهاته وتحولاته الا ان يحاول استنباط المقولات الكلية الحاكمة على سير حركة التاريخ، وذلك بمنظور تأويلي للنصوص القرآنية غايته اكتشاف طبيعة العلاقة القائمة بين الحدث تاريخياً بابعاده انسان، زمان، مكان، وبين البعد الغيبي الالهي وقدرته على التدخل في تصحيح وتوجيه المسار التاريخي، وضمن هذا المنظور يذهب السيد البغدادي في تفسيره للآية الكريمة (وَتِلْكَ الأَيَّامُ نُداوِلُها بَيْنَ النَّاسِ)[٣٩] على اعتبارات اسباب ديمومة الانسان وحركته عبر الزمان التاريخي لاتنشأ ضمن اعتبارات تخص القوة والضعف او الغنى والفقر، فهذه الامور بنظره تبقى عارضة لأنها ليست قوانين او قواعد تفسر على أساسها اسباب التفاوت والاختلاف بين الناس لأن طبيعة وجود الانسان على هذه الارض مرهون بغاية ومخطط الهي، لذا يذهب السيد البغدادي في تفسيره لدلالات هذه الآية بتأكيده على هذا المعنى فيقول مانصه: "يتخيل الاغنياء والاقوياء ان الثروة والقوة اكبر سبب للسفر والنماء والاستمرار والبقاء وهذا خيال ساقط بالتاريخ والوجدان فان القوة والثروة ان لم يكونا اكبر مناف.. فلاشك في تأثيرهما على القضاء عليها الا ترى شيوع التخاصم والتنافس ونحوهما فيما بينهم وشيوع الاهمال والتضييع ونحوهما كالبطر والترف والغرور واشباهها فبعد هذا كله لاوجه للاغترار ما تهيأ لهم من التضامن والتعاون ونحوهما..." [٤٠].

اضافة الى ماتقدم ذكره نجد ان السيد البغدادي وفي أغلب كتاباته قد شدد على الاعلاء من مفهوم القانون الاخلاقي[٤١] ، وجعله حاكماً وفاعلاً ومقياساً في تحدي ماهية مايقوم به الانسان من اعمال، وبالتالي يكون مؤشراً لبناء الامة وتطورها في المسيرة التاريخية، مما يعني ان نظرة السيد البغدادي لدرجة انحطاط المجتمعات وتطورها مبني على مدى اقترابها و ابتعادها عن هذه القوانين الاخلاقية، وهذا الامر جعله يؤكد على حقيقة القيم الاخلاقية كالعدالة والحق، والابتعاد عن "الظلم" كعوامل اساسية وفاعلة في نهوض المجتمعات الاسلامية وتطورها[٤٢].

الخاتمة:-

فسر السيد البغدادي التاريخ بطريقة فلسفية فقهية وفقاً لثقافته الدينية البحتة، كماان طبيعة الشواهد والقراءات التي استقينا منها نظرة السيد البغدادي للتاريخ تنتمي في فضائها العام وافقها الى طبيعة النظر الى روافد ومكونات التاريخ الاسلامي بالذات فهو قد استبعد في طرحه ماكان يتصل بمباحث واصول التاريخ الغربي بكافة مدارسه واتجاهاته الامر الذي ولد ان طبيعة تصوراته وارائه ومنطلقاته جاءت لتعزيزي اليات قرئتنا وفهمنا لتراثنا الاسلامي أولاً، والشيعي ثانياً، وهذا لايعني ان السيد البغدادي يتبنى النظرة المنهجية للتاريخ بقدر ما يحاول الوصول الى اعادة وتصحيح زوايا النظر للتاريخ الاسلامي بشكل عام، بحيث يكون منسجماً مع الواقع التاريخي لطبيعة الدعوة الاسلامية بكل اطوارها ومراحلها وهو بهذا التوجه يؤكد على قضايا أساسية تخص طبيعة وغاية واهداف هذا التاريخ من جهة ومنهج التعامل مع المدونات التاريخية الاسلامية من جهة أخرى والتي أصبحت تشكل عماد وأساس معرفتنا بهذا التاريخ.

Abstract

Al-Saied Mohammed Al-Hasani Al-Baghdadi interpreted history in a philosophical jurisprudential way according to his pure religious culture. In addition, the works and readings from which we drew Al-Baghdadi view to history studied the history from a religious point of view in particular. He skipped out any work related to the origins of western history of all tendencies and schools. Accordingly, we comprehended that his views came to support our interest and understanding of our Islamic heritage in general and our Shiite heritage in particular. This does not imply that Al-Baghdadi adopts a methodological view to history more than an attempt to rewrite and correct the view to Islamic history in general. His purpose of theses attempts is to make the Islamic history related to the historical reality of the Islamic cause with all its stages and periods. By that he is confirming basic cases

concerning the nature and purpose of this history on one hand and method of dealing with the Islamic historical records on the other hand which then became the base of our understanding of this history.

هوامش البحث

(١) محمد البغدادي،التحصيل في اوقات التعطيل،(النجف الاشرف:مؤسسة النبراس للطباعة والنشر و التوزيع،٢٠٠٥)،ج١،ص٥-١٧؛محمد جواد جاسم الجزائري ،السيد محمدالحسني البغدادي رؤاه و مواقفه السياسية ،(النجف الاشرف:مؤسسة النبراس للطباعة و النشر و التوزيع،٢٠١١)،ص٩-١٣.

(٢) للمزيد من مفهوم التاريخ .ينظر:عبد الله المروي ، مفهوم التاريخ ،ط٤،(الدار البيضاء:المركز الثقافي العربي،٢٠٠٥).

(٣) عرف ابن خلدون (١٣٣٢-١٤٠٦م) التاريخ: بأنه "فن من الفنون التي تتداولها الامم والأجيال، يتساوى فهمه العلماء والجهال، إذ هو في ظاهره لايزيد على اخبار عن الأيام والدول والسوابق من القرون الأولى " . ينظر: حسين عاصي، ابن خلدون مؤرخا، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩١)، ج١، ص٢ ؛ عمر فاروق الطباع، ابن خلدون في سيرته وفلسفته التاريخية والاجتماعية، (بيروت: مؤسسة المعارف، ٢٠٠١)، ص٧١ ؛ نجيب زبيب، ابن خلدون، (بيروت: دار الهادي، ٢٠٠٣)، ص٥٤.

(٤) محمد البغدادي، المصدر السابق (مخطوط)، ج١٠، ورقة ١٢٧٦.

(٥) الجاهلية: يقصد بها تاريخ العرب قبل الاسلام أي دراسة تاريخهم السياسي والحضاري في شبه الجزيرة العربية منذ اقدم العصور حتى ظهور الاسلام، وهي فترة اصطلح مؤرخو العرب على تسميتها بالعصر الجاهلي استناداً الى كلمة الجاهلية التي وردت في القرآن الكريم بقوله تعالى (إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ). للتفاصيل ينظر: حسين مروة، النزعات المادية في الفلسفة العربية-الاسلامية، (بيروت: دار الفارابي، ٢٠٠٢)، ج١، ص٢١٥ ؛ عبد العزيز سالم، تاريخ العرب في عصر الجاهلية، (بيروت: دار النهضة العربية، د.ت)، ص١٣ ؛ (القرآن الكريم) سورة الفتح،آية :٢٦.

(٦) للتفاصيل عن ايام العرب. ينظر: عمر فروخ، تاريخ الجاهلية، (بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٦٤)، ص٧٧-٨١ ؛ ابراهيم شمس الدين، مجموع ايام العرب، (بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٢).

(٧) محمد البغدادي، المصدر السابق، ورقة ١٢٧٦.

(٨) المصدر نفسه، ورقة ١٢٩٨.

(٩) للتفاصيل بصورة اوسع عن يوم وبيعة الغدير. ينظر: عبد الحسين الاميني، موسوعة الغدير في الكتاب والسنة، تحقيق مركز الغدير للدراسات الاسلامية، ط٣، (قم: مطبعة سبحان، ٢٠٠٥).

(١٠) صاحب الامر(عج):محمد المهدي (٢٥٥هـ/٨٦٨م) ولد الامام المهدي ابن الامام الحسن العسكري(عليه السلام) في مدينة سامراء سنة٢٥٥هـ/٨٦٨م، وهو اخر أئمة أهل البيت(عليهم السلام) ، مر عمره الشريف بغيبتين اولها الصغرى واستمرت سبعين عاماً حتى وفاة اخر سفير سنة ٣٢٩هـ/٩٤٠م، لتبدأ بعدها الغيبة الكبرى.ينظر: كاظم جعفر المصباح، الامام المهدي ومفهوم الانتظار، (تهران: مطبعة فجر اسلام، ٢٠٠٢)، ص٣٢.

(١١) الامام الحسن العسكري(٨٤٦-٨٧٣م): هو الامام الحسن بن علي بن محمد بن علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب(عليه السلام) ولد في مدينة جده رسول الله(صلى الله عليه وآله) ومن أشهر ألقابه العسكري وسبب التسمية لانتقاله مع ابيه الامام علي الهادي(عليه السلام) الى سامراء في محلة تسمى عسكر، تعرض الامام الى مضايقات العباسيين حتى استشهد بالسم على يد المعتمد العباسي. للتفاصيل ينظر: محمد جواد الطبسي، حياة الامام العسكري(عليه السلام)، ط٣، (قم: مطبعة مكتب الاعلام الاسلامي،١٩٩٩).

(١٢) محمد البغدادي، المصدر السابق، ورقة ١٢٩٨.

(١٣) العهد الاموي: يبدأ (٤١هـ-١٣٢هـ/٦٦١م-٧٥٠م): حكم خلال هذه المدة اربعة عشر خليفة اموي. للتفاصيل ينظر: محمد عبد القادر خريسات، الدولة الاموية من النهوض الى السقوط،(اربد: مؤسسة حمادة للدراسات، ٢٠١١).

(١٤) محمد البغدادي، المصدر السابق، ورقة ١٢٩٨.

(١٥) المسعودي (٩٠٠-٩٥٧م): هو ابو الحسن علي بن الحسين المسعودي، ولد في بغداد تميز بكفاءَه عالية في مجال الابداع فهو مؤرخ ورحالة وجغرافي قام برحلات الى الهند والشرق الاوسط وافريقيا، وله مؤلفات في غاية الأهمية من ابرزها مروج الذهب ومعادن الجوهر ويعد هذا المؤلف من أهم المصنفات العربية الذي جمع فيه بين التاريخ والجغرافية ومن اثاره ايضاً التنبيه والاشراف واخبار الزمان توفي سنة ٩٥٧ م في مصر. للتفاصيل ينظر: محمد رضا الحكيمي، تاريخ العلماء عبر العصور المختلفة، (بيروت: مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، ١٩٨٣)، ص٣٦٧-٣٧١.

(١٦) ابن الكلبي (٠٠٠-٨١٩م): المؤرخ وعالم الانساب، هشام بن محمد ابي النفر ابن السائب الكلبي، ولد في الكوفة زار بغداد له الكثير من المؤلفات من اهمها الاصنام وجمهرة الانساب واخبار بكر وتغلب وبيوتات اليمن واسواق العرب توفي سنة ٨١٩ في الكوفة. للتفاصيل ينظر: أبوالبركات الانباري (ت٥٧٧هـ/١١٨١م)، نزهة الالباء في طبقات الأدباء، ط٢، (بغداد: مكتبة الاندلس، ١٩٧٠)، ص٧٥.

(١٧) ابن مسكويه (٩٣٦-١٠٣٠م): مؤرخ وفيلسوف عربي هو ابو علي احمد بن محمد المعروف بمسكويه نسبة الى المسك لخصاله، ولد في مدينة الري (طهران حالياً) اتصل بالبويهيين وعمل في خدمتهم ومن اشهر مؤلفاته تجارب الامم وتهذيب الاخلاق وتطهير الاعراق واداب العرب والفرس توفي في منطقة خواجو باصفهان سنة ١٠٣٠م. للتفاصيل ينظر: محسن مهاجرنيا، الفكر السياسي لمسكوه الرازي، ترجمة حيدر حب الله، (بيروت: الغدير للطباعة وانشر، ٢٠٠٤)، ص٢٥-٢٧.

(١٨) محمد البغدادي، المصدر السابق، ج٤، ورقة ٦٤٠.

(١٩) المباهلة: البهل هو ترك الشيء غير مراعى، وهناك من فسر الابتهال على انه الاسترسال في مكان والأجل العن. ينظر: ابو القاسم الاصفهاني (ت٥٠٢هـ/١١٠٨م) ، المفردات في غريب القران، تحقيق محمد سيد كيلاني، (بيروت: دار المعرفة للطباعة والنشر، د.ت)، ص٦٣.

(٢٠) (القرآن الكريم) سورة ال عمران، آية:٦١.

(٢١) محمد البغدادي، المصدر السابق، ج١، ص١٨٥.

(٢٢) (القرآن الكريم) سورة المائدة، آية :٥٥ .

(٢٣) ابو الفتح الكراجكي (٠٠٠-١٠٥٧م): القاضي والفقيه محمد بن علي بن عثمان الكراجكي، درس على علماء عصره الشيخ المفيد والسيد المرتضى وابي يعلى سلار الديلمي وابي عبد الله الواسطي وصف بانه راس الشيعة وصاحب التصانيف الجليلة وله مؤلفات قيمة ابرزها كنز الفوائد ومعدن الجواهر والنوادر وغيرها، توفي سنة ١٠٥٧ في مدينة صور اللبنانية . للتفاصيل ينظر: عبد الله نعمة، فلاسفة الشيعة حياتهم- اراؤهم، (بيروت: مكتبة دار الحياة للطباعة والنشر، ١٩٣٠)، ص٤٤٢-٤٤٣.

(٢٤) محمد البغدادي، المصدر السابق، ج١، ص٢٠٧.

(٢٥) المصدر نفسه، (مخطوط)، ج١٠، ورقة ١٢٤٩.

(٢٦) للاطلاع على صفات المؤرخ في الكتابة التاريخية. ينظر: مرتضى حسن النقيب، المؤرخ المبتديء ومنهج البحث التاريخي، (د.م: د.مط، د.ت)، ص٢٢-٢٨ ؛ سعدون نصر الله، المدخل الى علم التاريخ، (بيروت: دار النهضة العربية، ٢٠٠٧)، ص٧٥.

(٢٧) محمد البغدادي، المصدر السابق، ورقة ١٢٤٩.

(٢٨) المصدر نفسه، ورقة ١٢٥٠.

(٢٩) المستشرقون: هم جماعة من المؤرخين الاجانب الذين استقلوا بدراسة لغات الشرق الاسلامي وحضاراته وفلسفاته، واديانه، وتاريخه من غير الشرقيين. للتفاصيل ينظر: محمد حسين علي الصغير، المستشرقون والدراسات القرآنية، ط٢، (قم: د.مط، ١٩٩٣)، ج٢، ص١١ ؛ محمد الارناؤوط، مراجعة الاستشراق ،(بيروت:دار المدار الاسلامي،٢٠٠٢)،ج١،ص٢٢-٢٣؛ ادورد سعيد، الاستشراق، ترجمة كمال ابوديب، (بيروت: مؤسسة الابحاث العربية، ٢٠١٠)، ص٣٨ ؛ محمد الدسوقي،الفكر الاستشراقي تاريخه و تقويمه،(بيروت:مؤسسة التوحيد لنشر ،د.ت)،ص٢٨-٢٩ .

(٣٠) كانت هناك مغالطات غايتها تحريف و قلب الحقائق وتشوية المسار التاريخي لأهل البيت (عليهم السلام) على سبيل المثال لا الحصر قضية ابن سبأ و نسبة الى التشيع . للتفاصيل ينظر:طه حسين ، الفتنة الكبرى ،(القاهرة:دار المعارف،١٩٥٦)،ج٢،ص٩٨ .

(٣١) محمد البغدادي، المصدر السابق، ج٢، ص٢٢٣.

(٣٢) المصدر نفسه.

(٣٣) الجرح والتعديل: ظهر هذا العلم بقواعده واصوله في سنة ١٥٠هـ/٧٦٧م، وقد اتسمت قواعده منذ ظهورها بالدقة والصراحة والتحري عن كل مايؤدي الى جرح عدالة كل راوي من رواة الحديث، ولم تقتصر على نقد النص الشرعي بل تعدته الى نقد نص الخبر التاريخي والادبي. للتفاصيل ينظر: فاروق حمادة، المنهج الاسلامي في الجرح والتعديل، ط٣، (الرياض: دار طيبة، ١٩٩٧)، ص٣٤ ؛ حسن الحكيم، مذاهب الاسلاميين في علوم الحديث، (د.م: د.مط، د.ت)، ص٣١٢-٣١٨.

(٣٤) علم الحديث: هو العلم الذي يبحث به عن سند الحديث ومتنه وكيفية تحمله واداب نقله، وما يحتاج اليه ليعرف المقبول منه والمردود، ولهذا العلم تسميات مختلفة منها: دراية الحديث، واصول الحديث، ومصطلح الحديث، وقواعد الحديث. للتفاصيل ينظر: صبري متولي، علم الحديث النبوي ،(القاهرة: مكتبة زهراء الشرق، ٢٠٠٦)، ص٩-١٨.

(٣٥) محمد البغدادي، المصدر السابق (مخطوط)، ج١٠، ورقة ١٢٥٠.

(٣٦) المصدر نفسه، ج١، ص١٨٥، ٢٠٧.

(٣٧) لمعرفة طبيعة المراحل والمنجزات الفكرية التي ساهمت في تأسيس لفلسفة التاريخ. ينظر: احمد محمود صبحي، في فلسفة التاريخ، (بيروت: دار النهضة العربية، ١٩٩٤)؛ جميل موسى النجار، فلسفة التاريخ مباحث نظرية، (بغداد: المكتبة العصرية، ٢٠٠٧).

(٣٨) ان نظرية العناية الالهية تعد من اقدم النظريات في تفسير الطبيعة والتاريخ، لكنها اتخذت منحىً فلسياً اخر في اوربا حيث وظفت في التفسير المسيحي الذي وضعه سانت اوغسطين (٣٥٤-٤٣٠م) التي ضمنها في كتابه مدينة الله، للتفاصيل ينظر: عادل المخزومي، المدخل الى فلسفة التاريخ، (بغداد: مؤسسة مصر مرتضى، ٢٠٠٩)، ص٣٥.

(٣٩) (القرآن الكريم) سورة ال عمران، آية:١٤٠.

(٤٠) محمد البغدادي، المصدر السابق (مخطوط)، ج٤، ورقة ٦٥٠.

(٤١) اولت الشريعة الاسلامية المسألة الاخلاقية اهتماماً مميزاً لمايترتب عليها من امور حاسمة في حياة البشر وذلك انه لايمكن لأي أمة ان تدرك مدارج الرقي والتقدم دون قانون اخلاقي

يمثلها. للتفاصيل ينظر: محمد عبد الله الشرقاوي، الفكر الاخلاقي دراسة مقارنة، (بيروت: دار الجيل، ١٩٩٠)، ص٩. (٤٢) علي البغدادي، معالم الامامة في فكر السيد البغدادي، ط٣، (النجف الاشرف: مؤسسة النبراس للطباعة ،٢٠٠٩)،ص٦١٧.

قائمة المصادروالمراجع

١- ابراهيم شمس الدين ،مجموع أيام العرب،(بيروت:دار الكتب العلمية ،٢٠٠٢).

٢- ابو البركات الأنباري(ت٥٧٧ ه/١١٨١م)،نزهة الألباء في طبقات الأدباء،ط٢،(بغداد: مكتبة الأندلس،١٩٧٠).

٣- ابو القاسم الأصفهاني (ت٥٠٢ه/١١٠٨ م)،المفردات في غريب القرآن،تحقيق سيد كيلاني ،(بيروت:دار المعرفة للطباعة والنشر،د.ت).

٤- احمد محمود صبحي، ،في فلسفة التاريخ،(بيروت:دار النهضة العربية،١٩٩٤).

٥- ادورد سعيد،الاستشراق،ترجمة كمال ابوديب،(بيروت:مؤسسةالابحاث العربية،٢٠١٠).

٦- جميل موسى النجار،فلسفة التاريخ مباحث نظرية،(بغداد:المكتبة العصرية،٢٠٠٧).

٧- حسين عاصي ،ابن خلدون مؤرخاً،(بيروت :دار الكتب العلمية،١٩٩١).

٨- حسن الحكيم،مذاهب الاسلاميين في علوم الحديث،(د.م:د.مط،د.ت).

٩- سعدون نصر الله،المدخل الى علم التاريخ،(بيروت :دار النهضة العربية، ٢٠٠٧).

١٠- صبري المتولي،علم الحديث النبوي،(القاهرة :مكتبة زهراء الشرق،٢٠٠٦).

١١- طه حسين،الفتنة الكبرى،(القاهرة:دار المعارف،١٩٥٦).

١٢-عادل المخزومي،المدخل الى فلسفة التاريخ،(بغداد:مصر مرتضى،٢٠٠٩).

١٣-عبد الله نعمة،فلاسفة الشيعةحياتهم- اراؤهم،(بيروت:مكتبة دارالحياة للطباعة و النشر،١٩٣٠).

١٤- عبد العزيز سالم،تاريخ العرب في عصر الجاهلية،(بيروت:دار النهضة العربية،د.ت).

١٥- عبدالله مروي،مفهوم التاريخ،ط٤،(الدار البيضاء:المركز الثقافي العربي،٢٠٠٥).

١٦- عبد الحسين الأميني،موسوعة الغديرفي الكتاب و السنة،تحقيق مركز الغديرللدراسات الاسلامية،ط٣،(قم:مطبعة سبحان،٢٠٠٥).
١٧- علي البغدادي ،معالم الامامة في فكر السيد البغدادي،ط٣،(النجف الاشرف :مؤسسة النبراس للطباعة و النشر و التوزيع،٢٠٠٩).
١٨-عمرفاروق الطباع،ابن خلدون في سيرته و فلسفته التاريخية و الاجتماعية،(بيروت:مؤسسة المعارف،٢٠٠١).
١٩- عمرفروخ،تاريخ الجاهلية،(بيروت:دارالعلم للملايين،١٩٦٤).
٢٠- فاروق حمادة، المنهج الاسلامي في الجرح و التعديل،ط٣،(الرياض:دارطيبة،١٩٩٧).
٢١- كاظم جعفر مصباح، الأمام المهدي و مفهوم الانتظار،(تهران:مطبعة فجر اسلام ،٢٠٠٢).
٢٢- محسن مهاجرنيا،الفكر السياسي لمسكوية الرازي،ترجمةحيدر حب الله،(بيروت:الغدير للطباعة و النشر،٢٠٠٤).
٢٣- مرتضى حسن النقيب،المؤرخ المبتدئ و نهج البحث التاريخي،(د.م:د.مط،د.ت).
٢٤- محمد جواد الطبسي،حياة الامام العسكري،ط٣،(قم:مطبعة مكتب الاعلام الاسلامي،١٩٩٩).
٢٥- محمد عبد القادر خريسات،الدولة الاموية من النهوض الى السقوط،(اربد:مؤسسة حمادة للدراسات،٢٠١١).
٢٦- محمد رضا الحكيمي ،تاريخ العلماء عبر العصور المختلفة،(بيروت:مؤسسة الاعلمي للمطبوعات،١٩٨٣).
٢٧- محمد البغدادي،التحصيل في اوقات التعطيل ،(النجف الاشرف:مؤسسة النبراس للطباعة و النشر والتوزيع،٢٠١١).
٢٨- .....،التحصيل في اوقات التعطيل،(مخطوط)،(النجف الاشرف:مكتبة السيد البغدادي العامة،١٩٣١).
٢٩- محمد جواد جاسم الجزائري،السيد محمد الحسني البغدادي رؤاه ومواقفه السياسية،(النجف الاشرف:مؤسسة النبراس للطباعة و النشر و التوزيع،٢٠١١).

٣٠- محمدالدسوقي،الفكر الاستشراقي تاريخه و تقويمه،(بيروت:مؤسسة التوحيد للنشر ، د.ت) .
٣١- محمد عبدالله الشرقاوي،الفكر الاخلاقي دراسة مقارنة،(بيروت:دارالجيل،١٩٩٠).
٣٢- محمد الأرناؤوط،مراجعة الاستشراق،(بيروت: دارمدارالاسلامي،٢٠٠٢).